# تركيا وروسيا الاتحادية
## دراسة في العلاقات السياسية 2000 – 2009

**د. لقمان عمر محمود**
مدرس/ مركز الدراسات الإقليمية/ جامعة الموصل

**مستخلص البحث**

**يتناول هذا البحث العلاقات الثنائية بين تركيا وروسيا الاتحادية في المجال السياسي والدبلوماسي، بين عامي (2000-2009)، إذ شهدت تلك العلاقات تطوراً كبيراً خلال هذه المدة التي تعد من أفضل السنوات في تاريخ العلاقات بين الدولتين، وذلك بسبب تغير الأنظمة السياسية في كلا البلدين، وانتهاجها سياسات خارجية متوازنة وفاعلة في محيطهما الإقليمي، ساهمت في تعزيز وتوثيق علاقاتهما الثنائية، وتعميق آفاق تعاونهما في المجالات والمناطق المختلفة، فضلا عن تنسيق مواقفهما تجاه عدد من القضايا الحيوية ذات الاهتمام المشترك. وقد ساهمت الزيارات الرسمية المتبادلة بين مسؤولي الدولتين في تطوير تلك العلاقات، ونقلها إلى مستوى الشراكة الإستراتيجية، عبر الاتفاقيات التي وقعت بين البلدين التي كان آخرها ما سمي بـ "الوثيقة الإستراتيجية" في شباط عام 2009، التي سوف تفتح آفاقا جديدة للتعاون الاستراتيجي بين الدولتين.**

**مقدمة**

اتسمت العلاقات التركية–الروسية بعد تفكك الاتحاد السوفيتي السابق أواخر عام 1991، وانتهاء الحرب الباردة (1951–1991) بالتوتر تارةً، وعدم الاستقرار تارةً أخرى بسبب التنافس المباشر بين الدولتين في مناطق استراتيجية عدة مثل القوقاز، وآسيا الوسطى، والبلقان، واستمر ذلك التنافس طوال عقد التسعينيات من القرن الماضي. لكن العلاقات الثنائية بين البلدين بدأت بالتحسن مع مجيء الرئيس الروسي (فلاديمير بوتين Vladimir Putin 2000–2008) إلى السلطة مطلع عام 2000، ثم مجيء حزب العدالة والتنمية في تركيا أواخر عام 2002 بزعامة (رجب طيب أردوغان Recep T. Erdogan)، وانتهاج الطرفين سياسة خارجية مرنة تجاه بعضهما البعض هدفت إلى تقليل عوامل التوتر بين البلدين وتعزيز أواصر التعاون في المجالات كافة.

وما لبثت هذه السياسة أن ترجمت إلى زيارات رسمية متبادلة في نهاية عقد التسعينيات، أثمرت عن تحسن العلاقات السياسية بينهما، وعكست إدراك المسؤولين في كلتا الدولتين أهمية تعزيز وتطوير العلاقات الثنائية، خصوصا بعد زيارة الرئيس الروسي فلاديمير بوتين لتركيا في كانون الأول/ ديسمبر 2004، تبعتها مباشرة زيارة رسمية لرئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان إلى موسكو في كانون الثاني/ يناير 2005. أما زيارة الرئيس التركي (عبدالله غول Abdullah Gul) إلى موسكو في شباط/ فبراير عام 2009 فقد عدت نقلة نوعية في تاريخ العلاقات التركية–الروسية، إذ فتحت آفاقاً استراتيجية للتعاون بين البلدين في المجالات كافة، خصوصاً بعد تأطير ذلك التعاون فيما سمي بـ"إعلان الاتفاق المشترك" الذي وصفته موسكو بـ "الوثيقة الاستراتيجية".

تناول هذا البحث في الأصل تطور العلاقات بين تركيا وروسيا الاتحادية في المجالات السياسية والاقتصادية، خلال الفترة موضوع البحث، لكن نظراً لكثرة صفحاته التي تجاوزت الثلاثين صفحة، خصوصا فيما يتعلق بالمجال الاقتصادي، فقد تم اقتصار البحث على الجانب السياسي فقط، مع التأكيد على أن تطور العلاقات الاقتصادية بين الدولتين انعكس إيجابيا على تحسن العلاقات السياسية. واحتوى البحث أيضاً على خاتمة تضمنت خلاصة مع أهم الاستنتاجات.

**– مدخل: تركيا وروسيا الاتحادية بعد الحرب الباردة 1991–2000**

مع تفكك الاتحاد السوفيتي السابق أواخر عام 1991، وبداية تحول جديد تماماً في الإمكانيات الإقليمية لاتجاهات السياسة الخارجية التركية، والروسية أيضاً، كان متوقعاً أن تخضع العلاقات التركية–الروسية لتحولٍ ما. لقد أعقب تفكك الاتحاد السوفيتي اندفاعاً متبادلاً نحو نشاطٍ دبلوماسي بين تركيا وروسيا الاتحادية، تُوّج بتوقيع الطرفين على معاهدة الصداقة والتعاون بين جمهورية تركيا وروسيا الاتحادية في 25 أيار/ مايو 1992. وقد خدمت هذه المعاهدة الدولتين لأنها شكلت أساساً قانونياً للعلاقات الثنائية بين البلدين، وسعت لإعداد وترتيب أسس استراتيجية لاستمرار تحسن هذه العلاقات. وقد استمر هذا التنظيم الايجابي لأسس العلاقات خلال سنوات الرئيس الروسي الأسبق (بوريس يلتسين Boris Yeltsin 1991–1999)[1].

تعد روسيا الاتحادية لاعباً رئيساً، سياسياً وعسكرياً، في منطقة القوقاز وآسيا الوسطى، ولهذا فإن التطورات في العلاقات التركية–الروسية أصبح لها مضامين مهمة لتوازن القوى الإقليمي، ولسياسة تركيا الخارجية في المنطقة أيضاً. كانت العلاقات خلال الحرب الباردة رهينة التنافس الدولي. ومع نهاية هذه الحرب أصبحت العلاقات التركية–الروسية مهمة لكلا الدولتين في المحيط الإقليمي. كما أصبحت روسيا الاتحادية أكثر الدول أهمية في القوقاز وآسيا الوسطى، سواءً كانت شريكاً أو منافساً لتركيا. وبخلاف الأخيرة، كانت لروسيا تجربة ومعرفة للخصائص والمميزات السياسية والاقتصادية للمنطقة، مما أعطى الفائدة لروسيا في الإطار الإقليمي. ومع ذلك كان لروسيا عوائق داخلية وخارجية أولها، أنها حملت عبء الاتحاد السوفيتي السابق في المجالين الاقتصادي والسياسي، ولهذا واجهت في السنوات الخمس الأولى من تأسيسها اضطراباً سياسياً وأزمة أيديولوجية. وثانيها، واجهت روسيا الاتحادية مطالب انفصالية للشيشان، التي عدتها خطراً على وحدة أراضيها الإقليمية[2].

لقد شهدت العلاقات السياسية بين تركيا وروسيا الاتحادية توترا ملحوظاً بين عامي 1995 و1999 بسبب عدد من المسائل أهمها الحرب في الشيشان، وقتال تركيا ضد عناصر حزب العمال الكردستاني المحظور الـ (P.K.K). وكمحصلة لذلك أضحت مسألة ما يوصف بـ "الإرهاب" على رأس جدول الأعمال في الاجتماعات الرسمية بين المسؤولين الأتراك والروس خلال هذه السنوات. فقد كانت روسيا الاتحادية تعطي دعما سياسيا، وتوفر ملاذا آمنا لعناصر هذا الحزب، وتستضيف مؤتمراته واجتماعات قادته، فيما كانت تركيا تقدم دعما للمسلحين الشيشانيين في قتالهم ضد الروس. ولهذا كانت هناك اتهامات متبادلة بين الدولتين حول انتهاك كل دولة لسيادة الدولة الأخرى وسلامة أراضيها الإقليمية.

ولهذا نجد أن الاجتماعات الرسمية بين مسؤولي البلدين في النصف الثاني من عقد التسعينيات تناولت التأكيد على احترام البلدين لسلامة الأراضي الإقليمية لكل منهما، وهو ما كان يعني عدم تدخل تركيا في الشؤون الداخلية لروسيا الاتحادية وبالعكس، عبر تجنب كل منهما تقديم دعم للمجموعات المسلحة في الدولة الأخرى. وفي هذا السياق جاءت زيارات وزيرة الخارجية التركية (تانسو تشيللر Tansu Ciller ) إلى موسكو في عامي 1996 و 1997، للتأكيد على هذه المسائل. ففي زيارة تشيللر لموسكو في كانون الأول/ ديسمبر عام 1996 ولقائها برئيس الوزراء الروسي (فيكتور تشيرنوميردن Viktor Chernomyrdin) ووزير الخارجية الروسي (يفغيني بريماكوف Yevgeny Primakov)، أعلنت بأن كلاً من تركيا وروسيا الاتحادية تحترمان سلامة الأراضي الإقليمية للدولة الأخرى. ومع ذلك،

بقيت كلمات وزيرة الخارجية التركية تعبر عن رغبات حسنة لكنها لم تستطع منع الروس من توجيه اتهامات لتركيا بإرسال أسلحة إلى الشيشان، وبالمقابل اتهمت تشيللر الروس ببيع الأسلحة إلى القبارصة اليونانيين[3].

وخلال زيارتها الثانية لموسكو عام 1997، حاولت وزيرة الخارجية التركية تشيللر ونظيرها الروسي بريماكوف إعطاء الانطباع أمام وسائل الإعلام بأن الخلافات السياسية بين تركيا وروسيا الاتحادية لم تعد حادة كما كانت من قبل، ولضمان التغلب على هذه الخلافات تدريجيا، فإنه من الضروري العمل بنشاط أكبر أولا وقبل كل شيء في المجالات التي توجد فيها وجهات نظر مشتركة[4].

على الرغم من رغبة الطرفين في تحسين علاقاتهما، فإن تركيا وروسيا لم تتفقا على وسائل تحقيق هذه الرغبة. وفيما أعلن رئيس الوزراء الروسي فيكتور تشيرنوميردن عام 1998 بأن التحسن في العلاقات الاقتصادية سيلعب دوراً حيوياً في تعزيز العلاقات السياسية نحو الأفضل، أعلن رئيس الوزراء التركي آنذاك (مسعود يلماز Mesut Yılmaz 30 حزيران/يونيو 1997–11 كانون الثاني/يناير 1999) بأن العلاقات السياسية يجب أن تتحسن إلى مستوى جيد لكي تتطور العلاقات الاقتصادية إلى مستوى أفضل. وعلى أية حال، فإن الوقت أثبت بأن وجهة نظر فيكتور تشيرنوميردن كانت صحيحة، إذ بدأت العلاقات التركية–الروسية تنتعش اقتصادياً حتى في الأوقات التي شهدت مشكلات سياسية بين تركيا وروسيا الاتحادية، وكان للعلاقات الاقتصادية الجيدة فعلاً تأثيراتها الإيجابية في المجالات السياسية[5].

شهدت العلاقات التركية–الروسية تحسناً ملحوظاً في المجالات الدبلوماسية والاقتصادية أواخر عقد التسعينيات؛ ففي 5 و6 تشرين الثاني عام 1999 قام رئيس الوزراء التركي بولند أجاويد Bulent Ecevit (11 كانون الثاني/يناير 1999– 18 تشرين الثاني/نوفمبر 2002) بزيارة رسمية إلى موسكو، وتم توقيع سلسلة من الاتفاقيات بين تركيا وروسيا الاتحادية، من بينها اتفاقية عن التعاون المشترك لمكافحة ما يوصف بـ "الإرهاب"، واتفاقية أخرى حول التزام الطرفين رسميا بإنشاء ما سمي بمشروع "خط أنابيب السيل الأزرق **Blue Stream Pipeline**"[6].

**– تطور العلاقات السياسية بين تركيا وروسيا الاتحادية (2000–2007)**

شهدت العلاقات السياسية بين تركيا وروسيا الاتحادية تطوراً نوعياً مع تولي فلاديمير بوتين رئاسة البلاد في كانون الثاني عام 2000، الذي انتهج سياسة مرنة تجاه تركيا هدفت إلى تخفيف التوتر وتجاوز الخلافات وتعزيز العلاقات السياسية بين الدولتين عبر تبادل الزيارات الرسمية، فضلاً عن تكثيف التعاون بينهما في المجالات كافة. وفي هذا السياق، التقى وزير الخارجية الروسي (إيغور إيفانوف Igor Ivanov) بنظيره التركي (إسماعيل جيم Ismail Cem) خلال انعقاد الجلسة الخامسة والخمسين للأمانة العامة للأمم المتحدة في نيويورك في 18 أيلول/سبتمبر عام 2000. وتحدث الوزيران خلال لقائهما عن العلاقات الثنائية بين البلدين، فضلاً عن المسائل الإقليمية والدولية التي أعطيت لها أهمية من قبل الجانبين[7].

وتعززت العلاقات السياسية بين البلدين أكثر بُعيد الزيارة الرسمية التي قام بها رئيس الوزراء الروسي (ميخائيل كازيانوف Mikhail Khazyanov) أواخر تشرين الأول/ أكتوبر عام 2000 إلى تركيا، وأكد في تصريحات له في أنقرة على أنه بالرغم من التنافس الموجود بين الدولتين إلاّ أن العلاقات بينهما ستدخل من الآن فصاعداً مرحلة الشراكة وقال: "إن استنتاجنا الرئيس المشترك أنّ روسيا وتركيا ليستا [دولتان] متنافستين لكنهما شركاء، وحكومتينا سوف تمضي من الآن فصاعداً [انطلاقاً] من هذا الفهم"[8]. وعُدَّ هذا التصريح مؤشراً واضحاً على أن العلاقات بين الدولتين ستشهد نقلة نوعية في المرحلة التالية.

وفي حزيران عام 2001 قام وزير الخارجية الروسي إيغور إيفانوف بزيارة رسمية أخرى إلى أنقرة، التقى فيها بالرئيس التركي (أحمد نجدت سيزر Ahmet Necdet Sezer 2000-2007) ورئيس الوزراء التركي آنذاك بولند أجاويد، فضلاً عن وزير الخارجية إسماعيل جيم. وفي هذا اللقاء قرر وزراء خارجية الدولتين "إنشاء لجنة عمل لخلق استراتيجية مشتركة في منطقة أوراسيا[*] تتعلق بقضايا مهمة للطرفين مثل مسألة ناكورنو كاراباخ، والمضايق والطاقة" ومحاربة ما وصفاه بـ"الإرهاب"[9].

وكان لأحداث 11 أيلول/ سبتمبر عام 2001 في الولايات المتحدة تأثير كبير في تعزيز التعاون السياسي والأمني والاقتصادي بين تركيا وروسيا الاتحادية؛ فبعد شهرين من أحداث 11 أيلول، وتحديداً في منتصف تشرين الثاني/نوفمبر عام 2001، التقى وزيرا خارجية الدولتين في نيويورك، ووقعا مذكرة تفاهم سميت بـ "خطة عمل أوراسيا *Eurasia Action Plan*". وكانت هذه الوثيقة ذات أهمية كبيرة في تعميق حواراتهما وتعزيز علاقاتهما السياسية وتنسيق جهودهما الدبلوماسية تجاه عدد من المسائل الإقليمية والدولية في منطقة أوراسيا خصوصاً. ودعت المذكرة إلى زيادة الحوار بين البلدين ليس في مجالات

مثل التجارة والثقافة والسياحة فحسب وإنما تكثيف المشاورات السياسية الدائمة أيضاً. وتم تحديد مناطق التعاون في منطقة أوراسيا في الوثيقة بوصفها خطوة تساعد على إيجاد الحلول السياسية للنزاعات، وتعزيز الاستقرار في المنطقة، فضلا عن خلق البيئة المناسبة للتنمية الاقتصادية المستمرة فيها[10]. كما أكدت خطة العمل أيضاً على أن "هذا التفاهم المشترك فيما يتعلق بدور القانون الدولي وحقوق الإنسان والديمقراطية سيوفر منظوراً جديداً للعلاقات الثنائية بين البلدين"[11].

ومع مجيء حكومة حزب العدالة والتنمية في تركيا أواخر عام 2002، انتاب المسؤولين الروس شيء من القلق نظراً لكون الحكومة ذات جذور إسلامية، الأمر أعاد إلى أذهان الروس حقيقة أن الإسلاميين الأتراك كانوا من أكثر المؤيدين للمسلحين الشيشانيين في منتصف عقد التسعينيات. ولطمأنة موسكو حول توجهات وسياسات الحكومة التركية الجديدة، صرح رئيس الوزراء التركي آنذاك عبد الله غول (18 تشرين الثاني/ نوفمبر 2002– 14 آذار/ مارس 2003) في مقابلة له مع صحيفة (ديلي نيوز Daily News) التركية في أواخر تشرين الثاني عام 2002 قائلاً: "إن هدفنا هو أن نظهر للعالم أن بلداً لديه شعب مسلم يمكن أن يكون ديمقراطياً وشفافاً وحديثاً أيضاً، ويتعاون مع العالم"[12].

فضلاً عن ذلك، فقد بدت الزيارة التي قام بها زعيم حزب العدالة والتنمية آنذاك (رجب طيب أردوغان)، الذي أصبح رئيساً للوزراء لاحقاً، إلى موسكو في كانون الأول/ ديسمبر عام 2002، إيجابية جداً، حيث بددت القلق الروسي من توجهات حكومته الجديدة، وأعرب الرئيس الروسي فلاديمير بوتين عن ارتياحه لمستوى العلاقات مع تركيا واتفق البلدان على العمل على زيادة تطوير التعاون السياسي والاقتصادي. كما أشاد الرئيس بوتين بقرب الانتهاء من إنشاء مشروع خط أنابيب السيل الأزرق، وصرح قائلاً: "إن تركيا هي شريكنا منذ وقت طويل، وعلاقتنا قد تنامت بشكل مكثف جدا في الآونة الأخيرة. وأتوقع أن يتم الحفاظ على أفضل التقاليد في العلاقات بين روسيا وتركيا وسنحملها إلى مستوى جديد". كما شكر الرئيس بوتين أردوغان لموقفه الواضح تجاه ما وصفه بـ"مقاومة الإرهاب"[13].

في شباط/ فبراير 2004، قام وزير الخارجية التركي السابق عبدالله غول بزيارة رسمية إلى موسكو وبرفقته مائة وخمسون من رجال الأعمال الأتراك. والتقى غول بنظيره الروسي "إيغور إيفانوف" وتم التوقيع على أربع اتفاقيات تخص قضايا مختلفة. وفي مقابلة لغول مع وكالة أخبار روسية أوضح بأنّ تركيا وروسيا

الاتحادية لديهما تاريخ مشترك من العلاقات تمتد قرابة خمسمائة عام وأنه من الأفضل لكلا البلدين إعادة تقويم علاقاتهما بما يخدم مصالحهما المشتركة، خاصة في وقت يشهد فيه العالم تغييراتٍ جوهرية[14].

وفي 5 –6 كانون الأول/ ديسمبر عام 2004 قام الرئيس الروسي بوتين بزيارة رسمية إلى تركيا، وهو يعد أول رئيس روسي يزور البلاد بعد (32) عاماً. ورافقه في هذه الزيارة وزير الدفاع الروسي (سيرغي لافروف Sergey Lavrov)، فضلاً عن رئيس إقليم (تترستان Tatarstan)، ورؤساء عدّة شركات روسية كبرى (خصوصا شركة كازبروم Gazprom وشركة تاتنفت Tatneft) المتخصصتين بالغاز والنفط. وأجرى الرئيس بوتين مفاوضاتٍ مع الرئيس التركي أحمد نجدت سيزر، ورئيس الوزراء رجب طيب أردوغان، تناولت سبل تطوير العلاقات بين الثنائية بين البلدين[15]. وتوجت هذه الزيارة بالتوقيع على الإعلان المشترك لـ"تعميق الصداقة والشراكة المتعددة الأبعاد Deepening of Friendship and Multidimensional Partnership"[16].

وقد عدت هذه الزيارة مؤشراً على الرغبة في إقامة علاقاتٍ جيدةٍ بين الدولتين. وتمحورت اللقاءات الثنائية حول مسائل عدة منها مسألة حزب العمال الكردستاني والمسألة الشيشانية في روسيا الاتحادية وانعكاساتها على تركيا، والمضايق، وإنشاء خطوط الأنابيب، والشراكة في آسيا الوسطى والقوقاز فضلا عن محاولات الطرفين لاكتشاف مساحات جديدة لتوسيع آفاق لتعاون بينهما[17]. وقال الرئيس بوتين في هذا السياق: "نحن مصممون على ترقية العلاقات إلى المستوى الأعلى"[18]

وقد وقعت الدولتان على الاتفاقيات التالية خلال هذه الزيارة في إطار الإعلان المشترك "لتعميق الصداقة والشراكة المتعددة الأبعاد"[19]:

1. الإعلان المشترك لتطوير الصداقة والتعاون متعدّد المستويات.
2. الحماية المتبادلة للحقوق والملكية الفكرية، ضمن إطار التعاون التقني والعسكري.
3. الحماية المتبادلة للمعلومات السرية والمواد المرسلة ضمن إطار التعاون التقني–العسكري.
4. منع وقوع الحوادث البحرية خارج المياه الإقليمية.
5. اتفاقية التعاون بين (شركة فنيش إكونوم بانك Vnesheconombank، وشركة روزكسيم بانك Roseksimbank) الروسيتين و(شركة إكسيم بانك Eximbank) التركية.
6. مذكّرة تفاهم حول تطوير التعاون في مجال الغاز بين (شركة كازبروم Gazprom) الروسية وشركة (بوتاش Botas) التركية.

7. مذكّرة تفاهم حول التعاون بين الأكاديمية الدبلوماسية في وزارة الخارجية الروسية ومركز البحوث الإستراتيجية في وزارة الخارجية التركية.

وقد علق الرئيس بوتين على توقيع إعلان الصداقة والشراكة بين البلدين قائلا: "إن إعلان الصداقة والشراكة سيعزز الجهود المشتركة في مجال مكافحة الإرهاب، وسيمنح التعاون دفعات قوية" وأضاف: "لقد أكدنا مرة جديدة تصميمنا على تطوير علاقتنا السياسية والاقتصادية والثقافية وفي جميع المجالات". وفي الوقت الذي شكر فيه الرئيس بوتين القيادة التركية على ما تبذله من جهد ضد ما وصفه بـ "الإرهاب"، فإنه أبدى رغبة بلاده في التنسيق والتعاون على هذا الصعيد بشكل خاص. ومن جهته، شدد الرئيس التركي احمد نجدت سيزر على أن "تطوير العلاقات بين البلدين يسهم في السلام والاستقرار والرخاء في المنطقة". كما صرح رئيس الوزراء التركي أردوغان قائلاً: "إن العالم يندهش لما يحصل من تغيير ايجابي في العلاقات بين روسيا وتركيا"[20].

وفي العام التالي، أي في 12 كانون الثّاني/ يناير 2005، قام رئيس الوزراء التركي أردوغان بزيارة رسمية لموسكو، رداً على زيارة الرئيس بوتين. وقد رافق أردوغان في هذه الزيارة (600) من رجال الأعمال الأتراك[21]. وخلال هذه الزيارة تمت مناقشة القضايا التي تتعلّقُ ببيع الغاز الطبيعي، وقضية قبرص والعلاقات التجارية. لكن الجانب التركي لم يستطع أن يحصل على جوابٍ مُرضٍ من المسؤولين الروس بخصوص دفع تركيا ثمن الغاز الروسي مقابل السلع التركية وإعادة تصدير الغاز الإضافي. وفيما يتعلق بقضية قبرص، فقد أعلن الرّئيس بوتين بأنّ روسيا الاتحادية سوف تدعمُ خطة الأمين العام للأمم المتحدة (كوفي أنان Kofi Annan 1997 –2006) للسلام في قبرص (22) وسيُحسّن علاقات بلاده الاقتصادية مع القبارصة الأتراك[23].

وفي 17–18 تموز/ يوليو عام 2005 التقى الرّئيس الروسي بوتين برئيس الوزراء التركي في مقر الرئيس الروسي في مدينة (سوشي Sochi) على ساحل البحر الأسود. وسمح لممثلي دوائر العمل التركية والروسية بالمُشاركة في الاجتماع. وأثناء محادثة بوتين وأردوغان تم التأكيد على الترتيبات التي أنجزت أثناء زيارة الرئيس الروسي إلى أنقرة في كانون الأول/ ديسمبر عام 2004. فضلاً عن ذلك، خطّط الطرفان لاستحداث سبل إضافية لتوسيع التعاون في المجالات الاقتصادية والعسكرية والطاقة والسياسة

الإقليمية[24]. وفي نهاية اللقاء صرح رئيس الوزراء التركي قائلاً: "تتطابق وجهات نظرنا كلياً فيما يتعلق بالوضع في المنطقة، فضلاً عن القضايا المتعلّقة بحفظ الاستقرار في العالم"[25].

وفي إطار حرص الدولتين على تعزيز علاقاتهما الثنائية، وتكثيف تعاونهما في المجالات كافة، حصلت زيارات رسمية متبادلة أخرى خلال عامي 2006 و 2007، ففي حزيران/ يونيو عام 2006 قام الرّئيس التركي أحمد نجدت سيزر بزيارة رسمية إلى موسكو، وتبعتها زيارة رئيس المجلس الوطني التركي الكبير (بولند أرينج Bulent Arinc)، إلى موسكو في تموز/ يوليو من العام نفسه، ثم تبعتها زيارة رسمية متبادلة لرئيس المجلس الاتحادي لروسيا الاتحادية (سيرغي ميرونوف Sergey Mironov)، إلى أنقرة في آذار/ مارس 2007، الأمر الذي عزز العلاقات بين الدولتين والتعاون الثنائي على المستوى البرلماني. وخلال الفترة نفسها، حدثت زيارات متبادلة عديدة لوزراء خارجية البلدين، عبد الله غول ونظيره الروسي سيرغي لافروف، وزيارات وزارية أخرى أيضاً[26].

من جهة أخرى، عدَّ وزير الثقافة والإعلام الروسي (الكسندر سوكولوف) العلاقات التركية– الروسية مثالا على حسن الجوار والاحترام المتبادل الحقيقيين. وأشار الوزير الروسي في كلمة ألقاها في 15 آذار 2007، في أنقرة خلال مراسم افتتاح "عام الثقافة الروسية في تركيا" إلى أن "هذه العلاقات تساعد على زيادة دور ونفوذ روسيا وتركيا في العالم وعلى تقدم كلا البلدين على طريق التحديث". وأعرب وزير الثقافة والأعلام الروسي عن قناعته بأن "عام الثقافة الروسية في تركيا" لن يغني الصلات الثقافية التي تربط بين روسيا وتركيا فحسب بل وسوف يحفز تطور مجموع العلاقات القائمة بين بلدينا"[27].

وبعيد انتخابه رئيساً لجمهورية تركيا في منتصف عام 2007، أرسل الرّئيس الروسي فلاديمير بوتين رسالة هنّأ فيها الرئيس عبدالله غول على فوزه بالانتخابات، وقال فيها: "إن العلاقات بين روسيا وتركيا سوف لن تكُون مفيدة لشعبي كلا البلدين فحسب، ولكنها ستُساهمُ في الاستقرار والأمن في المنطقة أيضا"[28].

### التطورات اللاحقة التي طرأت في عام 2009

شهدت بداية عام 2009 تطوراً مهما على صعيد العلاقات السياسية بين تركيا وروسيا الاتحادية عقب زيارة الرئيس التركي عبدالله غول إلى موسكو في 13 شباط/ فبراير عام 2009، وقال الرئيس الروسي (ديميتري ميدفيديف Dmitry Medvedev) الذي تولى رئاسة روسيا الاتحادية في أيار عام 2008، إن زيارة نظيره التركي عبد الله غول لموسكو "دشنت مرحلة جديدة في علاقات البلدين"، وأضاف

ميدفيديف خلال مؤتمر صحفي عقده في ختام المباحثات بينهما: "إن العلاقات الثنائية ودية وتقوم على التكافؤ ولها آفاق واسعة"[29].

وقد أشارت التقارير إلى أن الرئيس التركي وصل إلى موسكو برفقة وزير التجارة التركي (كورشاد توزمان Kursat Tuzman) ووزير الطاقة (حلمي غولر Hilmi Guler)، فضلاً عن عدد كبير من رجال الأعمال الأتراك المرافقين، وانضم وزير الخارجية التركي (علي باباجان Ali Babacan) إلى الوفد في موسكو قادماً من راجا عاصمة لاتفيا حيث كان في زيارة رسمية. واستغرقت زيارة الرئيس التركي لروسيا أربعة أيام، وتضمنت جدول الأعمال النقاط الآتية[30]:

- التفاهم حول التعاون التركي– الروسي في أمن البحر الأسود والمضائق والممرات البحرية التركية.
- التفاهم حول التعاون التركي – الروسي في مجالات النفط والغاز.
- التفاهم حول التعاون التركي – الروسي في مجالات التجارة.
- التفاهم حول التعاون التركي – الروسي في مجالات العمل السياسي الإقليمي وتحديداً في ملفات القوقاز وآسيا الوسطى والبلقان.

وأكد الرئيسان على الأهمية الإستراتيجية لتعاونهما في منطقة البحر الأسود وتنسيق جهودهما على الصعيدين الإقليمي والدولي بما يخدم مصالح الحفاظ على السلام والاستقرار في المنطقة والعالم. وتناولت مباحثات القمة الروسية– التركية عملية السلام في الشرق الأوسط والوضع في العراق والتسوية القبرصية الى جانب الأوضاع في مناطق البلقان والقوقاز وآسيا الوسطى مع التأكيد على تقارب أو تطابق موقفي البلدين في أغلبية القضايا الملحة وضرورة تنسيق سياستهما الخارجية مستقبلا.

وجاء في بيان مشترك وقعه الرئيسان ميدفيديف وغول نتيجة مباحثات القمة، أن مجال الطاقة في العلاقات الروسية– التركية ينطوي على أهمية إستراتيجية ومؤهل للتطور اللاحق وأن البلدين يعتزمان تنويع علاقاتهما المتبادلة عن طريق تنفيذ مشاريع ملموسة جديدة بما في ذلك مجال الطاقة الذرية، وضمان التنقل الحر للسلع والخدمات والرساميل وتشجيع الاستثمارات المشتركة وإقامة مراكز لوجستية في البلدين لضمان ذلك[31].

وإذ أكد الرئيس ميدفيديف أن زيارة الرئيس غول الحالية إلى روسيا ترمز إلى مرحلة مهمة في تطوير العلاقات الثنائية بين البلدين، والتي هي علاقات صداقة متكافئة، وشراكة واعدة، فقد أشار خلال المؤتمر

الصحفي المشترك في الكرملين إلى أن البيان المشترك يعد وثيقة سياسية ترسي الأساس لتطوير التعاون مستقبلا في مجالات السياسة الخارجية، والتعاون الإنساني، والاقتصاد، والتجارة، حيث تضاعف حجم التبادل التجاري بين روسيا وتركيا خمساً وثلاثين مرة خلال السنوات العشر الأخيرة. وبذلك تكون تركيا قد شغلت المرتبة الخامسة في لائحة شركاء روسيا التجاريين، سابقة بذلك اليابان، والولايات المتحدة، وبريطانيا، وفرنسا، بينما أصبحت روسيا الشريك التجاري الأول لتركيا متجاوزة ألمانيا. وقد أشارت مصادر رسمية روسية إلى أن موسكو وأنقرة اتفقتا على تشكيل لجنة فنية للإشراف على حل المسائل العالقة بين البلدين التي من أبرزها مشاكل النقل والرسوم الجمركية التي ظلت تعيق جهود توسيع التجارة والمعاملات الاقتصادية التركية – الروسية[32].

أما الأبعاد غير المعلنة لزيارة الرئيس غول لروسيا فقد أشار مراقبون إلى أن هذه الزيارة تحمل أبعاداً غير معلنة ما يفوق بقدر كبير أبعادها المعلنة، وبهذا الخصوص يمكن ملاحظة ما يلي[33]:

- من حيث التوقيت، تأتي الزيارة في وقت وصلت فيه التوترات التركية–الإسرائيلية بسبب الحرب على غزة التي اندلعت أواخر عام 2008، إلى مستوى غير مسبوق، ووصلت إلى حد تبادل الانتقادات والاحتجاجات العلنية المتبادلة والصريحة، وهو أمر لم يحدث في تاريخ العلاقات التركية – الإسرائيلية الطويل والحافل بشتى أنواع التبادل.
- من جهة الاعتبارات الدبلوماسية، فقد أشارت التسريبات إلى أن الاستعدادات الروسية لاستقبال الرئيس التركي كانت على أعلى المستويات التشريفية لحفل الاستقبال الرسمي، ووزن المسؤولين الذين قابلهم غول.
- أما أجندة الزيارة فقد تضمنت ما ظلت تعده واشنطن محرماً على أنقرة القيام به، فقد كسرت أنقرة المعارضة الأمريكية، ودخلت في تفاهم مع روسيا حول أمن البحر الأسود، والقوقاز، وآسيا الوسطى، وملف التعاون النفطي، فضلاً عن الملف النووي.

باختصار، ليس من الخطأ التأكيد على أن العلاقات الدبلوماسية بين تركيا وروسيا الاتحادية قد تحسنت منذ انهيار الإتحاد السوفيتي. وقد أثبت العدد المتزايد للزيارات الرسمية، والاجتماعات التي أقيمت على مستوى الرؤساء أو رؤساء الوزراء حقيقة مفادها أن الطرفين قد أعطيا أهمية كبيرة للعلاقات الثنائية بين الدولتين. وعلى الرغم من أن هذه الزيارات كانت مهمّة لتحسين علاقاتهما في المجالات المختلفة، فإن ذلك قد أشار إلى تزايد رغبة البلدين في تطوير علاقاتهما إلى مستوى الشراكة الاستراتيجية،

وهو ما يدل على تغير التوجهات السياسية في سياسات الدولتين الداخلية والخارجية[34]. وكما أشارت الباحثة (شيرين تي. هونتر Shireen T. Hunter) إلى أن "المسؤولين الأتراك والروس يُشيرون على نحوٍ متزايد إلى خصوصية دولتيهما بوصفهما قوتين إقليميتين مهمتين، لذلك فإنّ الرؤى التركية والروسية تتطابقان حول ضرورة ألا تكون تركيا وروسيا الاتحادية دولتين متنافستين، بل على العكس، إنهما تحتاجان لأن تكُونا دولتين متكاملتين"[35]. وعلى أية حال، فإن تحسن العلاقات بين هاتين القوتين الهامتين سوف يشكل بالتأكيد مجالات جيدة لسياسات داخلية وإقليمية ودولية في منطقة أوراسيا إلى ما بعد النظام الحالي لكل دولة.

**خاتمة واستنتاجات**

تناول هذا البحث تطور العلاقات السياسية والدبلوماسية بين تركيا وروسيا الاتحادية بين عامي (2000–2009). وتعد هذه المدة مهمة جدا في التاريخ المعاصر للعلاقات بين البلدين. وقد ساهمت عوامل عدة في تطور هذه العلاقات، أهمها تغير النظام السياسي في كلا الدولتين، ورغبتهما في انتهاج سياسة خارجية مرنة هدفت إلى تحسين علاقاتهما السياسية، وتعميق أفاق تعاونهما في المجالات والمناطق المختلفة، فضلا عن تنسيق مواقفهما السياسية تجاه عدد من القضايا ذات الاهتمام المشترك. وكانت للزيارات الرسمية المتبادلة بين مسؤولي البلدين أهمية كبيرة في نقل هذه العلاقات إلى مستوى الشراكة الإستراتيجية التي انعكست من خلال الاتفاقيات الثنائية التي وقعت بين الطرفين. وقد توجت هذه اللقاءات الرسمية بزيارة الرئيس التركي عبدالله غول إلى موسكو في شباط/ فبراير عام 2009، أثمرت عن توقيع وثيقة استراتيجية بين البلدين هدفت إلى تطوير آفاق التعاون في المجالات المختلفة. ويمكن الإشارة إلى أبرز الاستنتاجات كما يلي:

1. انعكس تطور العلاقات السياسية بين تركيا وروسيا الاتحادية على تعميق الحوار السياسي بين البلدين، وتوسيع آفاق التعاون بينهما بشكل وثيق في مجالاتٍ مختلفة، ومناطق عدة منها منطقة البحر الأسود، والقوقاز، والبلقان، وآسيا الوسطى، وتقديم الدعم لبعضهما البعض في العديد من المنظمات الدولية متعددة الأطراف مثل منظمة المؤتمر الإسلامي (OTC)، ومنظمة التجارة العالمية (WTO)، ومنظمة البحر الأسود للتعاون الاقتصادي (BSEC).

2. أكدت زيارة الرئيس التركي عبدالله غول إلى موسكو على الثابت في العلاقات التركية – الروسية، وأسّست لتفاهمات تركية– روسية ذات أبعاد استراتيجية، وكان المؤشر على ذلك لافتاً للنظر، إذ وصفت موسكو اتفاق الإعلان المشترك (التركي– الروسي) بالوثيقة الاستراتيجية؛ فمن التفاهم التركي – الروسي حول أمن البحر الأسود، والمضائق، والممرات البحرية التركية، مروراً بالتفاهم من أجل التعاون في مجالات النفط والغاز ومجالات التجارة الحرّة، وانتهاءً بمجالات العمل السياسي الإقليمي، وعلى وجه الخصوص في ملفات منطقة القوقاز المتداخلة– الشيشان والفصائل المسلحة، والمسألة الجورجية – وكذلك آسيا الوسطى والبلقان.
3. إن الملفات الإقليمية في القوقاز، وآسيا الوسطى، والتي توظفها الولايات المتحدة الأمريكية لتحقيق مصالحها الاستراتيجية في تلك المناطق، وتعمل على تحريكها ضد روسيا في مجالها الحيوي الخاص، فضلاً عن ملف نشر شبكة الدفاع الصاروخي، وملف أزمة البرنامج النووي الإيراني، شكل التقارب التركي– الروسي الأخير تحدياً لها، وأدى إلى تراجع النفوذ الأمريكي في القوقاز وآسيا الوسطى، وسيشكل خسارة استراتيجية نوعية للولايات المتحدة لأنّه لن يكون بديلاً للأخيرة سوى الاعتماد على تركيا التي يحكمها حزب العدالة والتنمية، بالرغم من تمسك الأخير باتفاقيات الشراكة الاستراتيجية مع الولايات المتحدة، فانّه لن يكون سهل الانقياد لواشنطن التي ما تزال تحاول ترويض تركيا بحيث تتيح لها العمل وحرية الحركة المطلقة في المنطقة كما كان في الماضي أيام الحرب الباردة مع الاتحاد السوفيتي السابق.

# Turkey and Russian Federation
# A Study in the Political Relations
# 2000-2009

Dr. Luqman Omar Mahmood
Lecturer /Regional Study Centar/ Unversity of Mosul

**Abstract**

This paper deals with the bilateral relations between Turkey and Russian Federation in the political and diplomatic field, during the years (2000-2009), where it witnessed a big development during this period which is considered the best in the history of the relations between the two states, due to the change of the political systems in the two countries, and its pursuing a balanced and effective foreign policy in their regional environment, that contributed in promoting and enhancing its bilateral relations, and deepen their cooperation horizons in the different fields and areas, besides of arrangement their attitudes toward a number of common essential issues.

The mutual official visits between the officials of the two states has also contributed in development these relations, and transfer it to the strategic partnership level, via the agreements signed between

them, the last one was called with (The Strategic Document) in February 2009, which will open new horizons for the strategic cooperation between the two countries.

الهوامش والمصادر

(1) **James W. Warhola, "Warming of Turkish-Russian Relations: Motives and Implications", Demokratizatsiya, Winter 2006, p.2. Available at:**

**-**

**http://findarticles.com/p/articles/mi_qa3996/is_200601/ai_n116537297/print**

(2) **Kamer Kasim, "Turkey's Foreign Policy Towards The Russian Federation", Baysal Universitesi, 2004, p.2. Available at:**

**-http://www.turkishweekly.net/article/18/turkey-s-fore-305-gn-policy-towards-the-russian-federation.html**

(3) **Anil Gurtuna, Turkish-Russian Relations in the Post Soviet Era: From Conflict to cooperation, Thesis of Master in International Relations submitted to The Graduate School of Social Sciences, Middle East Technical University, January 2006, p.35.**

(4) **Vadim Markushin, "Russia-Turkey: Doomed to be Eternal Neighbours", Perceptions, March-May 1997, Vol.2, p.2. Available at:**

**-http://www.sam.gov.tr/perceptions/Volume2/March-May1997/RUSSIA.pdf**

(5) **Gurtuna, Op. cit., p.36.**

(6) فتحت متطلبات تركيا المحلية للغاز الطبيعي مساحة للتعاون بين تركيا وروسيا، إذ وافقتا على بناء خط أنابيب للغاز الطبيعي من روسيا إلى تركيا، ووقعت اتفاقية بهذا الخصوص في 15 كانون الأول/ ديسمبر 1997، أثناء زيارة رئيس الوزراء الروسي فيكتور تشيرنوميردن إلى تركيا، لنقل (30) مليار متر مكعب مِنْ الغاز الطبيعي الروسي من تحت البحر الأسود إلى تركيا بحلول عام

2007. وقد سمي هذا المشروع بمشروع (السيل الأزرق Blue Stream). وطبقاً لهذا المشروع، فإن شركة (كازبروم Gazprom) الروسية وشركة (إني ENI) الإيطالية ستَبْنيان معاً خط أنابيب تحت البحر الأسود يبلغ طوله (1213) كيلومتراً من مدينة (نوفور سيسك) الروسية إلى مدينة (سامسون Samsun) التركية الواقعة على البحر الأسود. ويبلغ طول الجزء الروسي من الأنبوب (373) كيلومتراً، وطول الجزء الغاطس في البحر الأسود (309) كيلومترات. أما طول الأنبوب داخل الأراضي التركية بدءً من مدينة سامسون فيبلغ (501) كيلو متراً. ومع إنشاء مشروع السيل الأزرق، فإن تركيا ستُصبحُ المستوردَ الثاني الأكبر للغازِ الروسي بعد ألمانيا. للتفاصيل انظر:

- **A. Novopashin and A. Lavrentiev Stroytransgaz, 'New Pipelines of Natural Gas from Russia to Turkey', Paper presented in Onshore Pipelines Conference, Istanbul, 3-4 December 1998. Kamer Kasim, "Turkey's Foreign Policy Towards The Russian Federation", Baysal Universitesi, 2004, p.18.**

– عبدالله صالح، "السيل الأزرق يشعل المنافسة على مصادر الطاقة في آسيا الوسطى والقوقاز"، مجلة العصر، تقارير إخبارية، 2005/12/5.

- **http://www.alasr.ws/index.cfm?method=home.con&contentID=7262**

**Michael Reynolds, "Russian-Turkish Relations and Chechnya", Insight Turkey, April-June 2002, Vol. 4, No. 2, p.60.**

- **Daily News Bulletin, The Embassy of the RF in Turkey, 20 September 2000. Available at: http://www.turkey.mid.ru/hron/34.html**

(7) **Robert O. Freedman, "Putin and the Middle East", Middle East Review of International Affairs (MERIA), Vol. 6, No. 2, June 2002, p.9**

(* ) أوراسيا هي كتلة أرضية واسعة تبلغ مساحتها حوالي (54) مليون كم$^2$، وهي مكونة من قارتي أوروبا وآسيا، اللتين تقعا في شمال الكرة الأرضية. واسم هذه الكتلة مركب من كلمتي "أوروبا" و"آسيا"، وعدها العديد من الجغرافيين بوصفها قارة واحدة مثل الأمريكيتين وأفريقيا، حيث أن القارتين غير منفصلتان بمحيط أو بحر كبير. وكان الإغريق قد قسموا العالم إلى ثلاث مناطق: آسيا وأوروبا وأفريقيا، وما يزال هذا التقسيم مستخدماً حتى الآن. ويوجد تقسيم آخر أيضاً هو أوراسيا الشرقية والغربية، إذ تمثل أوراسيا الغربية أوروبا والشرق الأوسط، ويضيف إليهما البعض شمال أفريقيا لكون المنطقة منفصلة عن بقية أفريقيا بواسطة الصحراء الكبرى، في حين تمثل أوراسيا الشرقية

بقية آسيا عدا منطقة الشرق الأوسط منها. للتفاصيل أنظر: الموسوعة الحرة (ويكيبيديا). متاح على رابط الموقع التالي: http://ar.wikipedia.org/wiki/-

(8) Gurtuna, Op. cit., p.37.

(9) Suat Kiniklioglu, "The Anatomy of Turkish – Russian Relations", The Brookings Institute, Washington D.C, 2006, p.2. Available at:
- http://www.brookings.edu/comm/events/20060523sabanci_3a.pdf

(10) Gurtuna, Op. cit.,p.38.

(11) Freedman, Op.cit, p.10.

(12) Robert O. Freedman, "Russian Policy Toward the Middle East Under Putin: The Impact of 9/11 and The War in Iraq", Alternatives: Turkish Journal of International Relations, Vol.2, No.2, Summer 2003, pp.90-91. Available at:
- http://www.alternativesjournal.net/volume2/number2/putin.htm

(13) Gurtuna, Op. cit., p.40.

(14) "The First Visit of Vladimir Putin to Turkey", Axis Global Challenges Research, 21/8/2005. Available at:
- http://www.axisglobe.com/print_article.asp?article=332

(15) Kinikioglu, Op. cit, p.2

(16) "The First Visit of Vladimir Putin to Turkey", Op.cit.

(17) Kinikioglu, Op. cit, p.1.

(18) The First Visit of Vladimir Putin…", Op. cit.

(19) حكمت فاكه، "آفاق التقارب الروسي–التركي"، صحيفة الثورة السورية، 2005/1/31. متاح على الرابط الإلكتروني التالي:
- http://thawra.alwehda.gov.sy/_print_veiw.asp?FileName=65121698720050130195236

(20) Asim Oku, "Turkey-Russia Relations Dynamics", Axis Global Challenges Research, 12/5/2005. Available at:
- http://www.axisglobe.com/article.asp?article=71

(21) تدعو خطة كوفي أنان للسلام في قبرص إلى إقامة دولة موحدة من شطري الجزيرة تحكمها حكومة مركزية واحدة. وتتضمن الخطة مقترحات لحل المسائل المعلقة والسلطات التي ستتمتع بها الحكومة المركزية المقترحة، وعدد اللاجئين من القبارصة اليونانيين الذين سيكون لهم حق العودة إلى الشمال، والتنازل عن الأرض وعدد القوات العسكرية التركية على الجزيرة. للتفاصيل أنظر:

- "الزعماء القبارصة يسعون للتوصل لاتفاق توحيد الجزيرة"، موقع قناة بي بي سي العربي، 2004/2/19. متاح على الرابط الإلكتروني التالي:

-

http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/world_news/newsid_3502000/3502981.stm

(22) Gurtuna, Op. cit., pp.40-41

(23) Asim Oku, "Putin - Erdogan: Rapprochement Continues (Sochi Summit review)", Axis Global Challenges Research, 22/7/2005. Available at:
-http://www.axisglobe.com/article.asp?article=268

(24) Kinikioglu, Op. cit., p.2.

(25) "Turkish-Russian Relations: toward enhanced multidimensional partnership' and beyond", Today's Zaman, September 27, 2007, p.3.

(26) "وزير الثقافة الروسي يصف العلاقات الروسية– التركية بأنها علاقات حسن جوار حقيقية"، وكالة أنباء نوفوستي الروسية الرسمية، 2007/3/15. متاح على الرابط الإلكتروني التالي:
- http://ar.rian.ru/policy/foreign/20070315/62081350.html

(27) Ibid, p1.

(28) "ميدفيديف .. زيارة الرئيس التركي لموسكو دشنت مرحلة جديدة في علاقات البلدين"، وكالة الأنباء الكويتية (كونا)، الشؤون السياسية، 2009/2/13. متاح على الرابط الإلكتروني التالي:

-

www.kuna.net.kw/NewsAgenciesPublicSite/ArticleDetails.aspx?Language=ar&id=1975717

(29) "التقارب التركي– الروسي وأهداف زيارة عبدالله غول إلى موسكو"، موقع الجمل، قسم الدراسات والترجمة، 2009/2/17. متاح على الرابط الإلكتروني التالي:
- http://www.aljaml.com/node/42049

(30) "روسيا وتركيا... صداقة متكافئة وشراكة واعدة"، المجلة الإلكترونية السورية، 2009/2/14. متاح على الرابط الإلكتروني التالي:
- http://www.souria.com/ar/em/hl/article.asp?at=26041

(31) المصدر نفسه.

(32) "التقارب التركي–الروسي وأهداف زيارة عبدالله غول إلى موسكو"، المصدر السابق.

(33) Gurtuna, Op. cit., p.41.

(34) **Shireen T. Hunter, Islam in Russia: The Politics of Identity and Security (Armonk, New York: M. E. Sharpe, 2004). P.370.**

(35) **Hunter, Op. cit, p.361.**